وقودُ محرقةٍ

بعدما لم تجد بنتَها الغارقةَ في أي من مستشفيات المُحَافَظَةِ، وبعدما تأكدتْ أنه لم يَعُدْ من مُشرفي الرحلة سوى المديرة وأقاربها الذي قفزوا من الأتوبيس بمجرد انقلابه وغرقه وسط السيول، وعادوا إلى منازلهم، وغرق المدرسون في محاولاتهم لإنقاذ مَنْ يمكن إنقاذه، سارعتْ إلى مكان الحادث في المحافظة الأخرى على أمل أن ترى أو تسمع شيئًا عن بنتها.

وجدتْ بعض الوجوه القانطة متناثرة هنا وهناك، تطيل النظر، وجوه تنتظر أن تحنَّ الرمالُ وتبتلع مترًا من المياه حتى يستطيعوا الخوض والبحث بمفردهم بعد أن يئسوا من رجال الإنقاذ. توجهتْ من سيارة الأجرة مباشرة إلى شُرْطِيٍّ يدخن سيجارة ويستمع إلى جهاز راديو في يديه كأنه خارج المشهد تمامًا.

- أين الجثث التي استخرجوها؟

- الجثث كلها جرفها السيل، لكن هناك جثتين في كيسين أسودين على الأرض بجانب كمين الشرطة هناك.

سبقتْها دقاتُ قلبِها. زغردتْ بهستيريَّةٍ عندما شمَّتْ رائحةً مألوفةً. تتبعتْ الرائحةَ. قبَّلت الكيس بجنون قبل أن تفتحه وكأنها على يقينٍ تامٍّ بأن ابنتَها بداخله. فتحتْه. قبَّلتْ شعرَها. سحبتِ الرأسَ نحو صدرها:

- سرقوا ذهبك. فداكِ يا حبيبتي. هيا افتحي عينيكِ. لا تمثِّلي النومَ. لن أعاتبك. حمدا لله على سلامتكِ قبل كل شيء. هيا استيقظي.

نظرتْ إلى كمين الشرطة وأخذت تناوب بين العويل والزغاريد كوقودِ محرقةٍ لثورةٍ قادمةٍ.

١١ يناير ٢٠١١